الفصل السَّادس

الأسرة.. ومشكلات الطفل الموهوب

كثيرٌ من الأطفال الموهوبين تواجههم مشكلات مُعقَّدة خلال مواقف الحياة المتباينة، والنضج الانفعالي والاجتماعي ليس مُلازماً للموهبة بالفطرة، ولكن ذكاءهم المرتفع يُعطيهم قوة تبصُّر تُساعدهم علي حلّ مشكلاتهم.

ولكن غالباً ما يكون إحساسهم العميق هو السبب الذي يجعلهم يواجهون مشكلات لا يُقابلها الأطفال العاديون.وفضلاً عن ذلك قد يواجهون مشكلات فريدة في نوعها مثل: استجابات أقرانهم غير الطيبة نحو تفوقهم، وكذلك استجابات الكبار أيضاً.

ويجب أن يكون الكبار الذين تسمح لهم مكانتهم بإعطاء توجيه أو إرشاد علي علمٍ تام بالمشكلات التي تنشأ في البيت والمدرسة والمجتمع المحلي، كمَّا يجب أن يُشاركوهم وجدانيًّا ليُحسنوا إرشادهم، وأن يتذكروا أنَّ حاجات الأطفال الموهوبين الأساس هي نفس حاجات الأطفال الطبيعيين، ويجب أن نعمل علي إشباعها بالأساليب المقبولة، فإذا لم يجد الطفل الموهوب الفرصة لتنمية قدرته لكي يُشبع الحاجة إلي الإنجاز مثلاً، فإنَّه يتعرَّض للعديد من المشكلات.

والطفل الموهوب كثيراً ما يتعرَّض لشعور الوحدة، وذلك لاختلاف الميول والأنشطة عند أقرانه في نفس السِن، وكُلَّما نمَّا عُمْره العقلي اتسعت الفجوة وزاد ميله إلي الوحدة، ويؤكِّد

«تيرمان» أنَّ المشكلات الاجتماعيَّة للأطفال الموهوبين أكثر حِدة من الأطفال العاديين.

وغالباً ما يعتري الطفل الموهوب شعورٌ بالنقص، ذلك لأنَّه غير قادر علي أن يكون عضواً كالآخرين في جماعات النشاط الرياضي، فهو أكثر ميلاً إلي الأنشطة الثقافيَّة، ولم يهتم بإتقان المهارات اللاَّزمة للَّعب، أو لأنَّ أصحابه أكثر نضجاً في نموَّهم الجسمي وتوافقهم الحركي (هذا إذا اختار أن يكون بين أطفال أكبر منه سِناً، أو أنَّه اختصر سنوات مرحلة الدراسة).

● الآباء يُعلنون حيرتهم في التعامُّل مع الطفل الموهوب !!

باستقراء التراث السيكولوجي حول مشكلات الطفل الموهوب في الأسرة يمكننا وضع أيدينا علي عدة مشكلات مهمة، فمن خلال استطلاع آراء آباء الأطفال الموهوبين في دراسةٍ أجراها «هاكني» Hackney، عبَّر هؤلاء الآباء عن غموض دورهم كآباء عند التعامُّل مع الطفل الموهوب، كمَّا أبدوا حيرتهم في كيفية التعامُّل مع الطفل الموهوب كطفلٍ أم راشد !! ممَّا أدي إلي إحساسهم بالقلق والحيرة لصعوبة الفصل بين دورهم كآباء ودور الطفل الموهوب كطفل.

إنَّ الطفل الموهوب يتمتع بقدرةٍ لفظيةٍ عاليةٍ، وهو قوي الحُجة والبرهان، ممَّا يجعل والديه يشعران بالحيرة أمام هذا الطفل/الراشد، وكثيراً ما يخسر الآباء الرهان في معركتهم الجدلية مع طفلهم.

ونظراً لحِدة ذكاء الطفل الموهوب، وشدة حساسيته، وتأثير شخصيته المُسيطرة، وقوة إقناعه، يُعلن الآباء استسلامهم أمام الطفل الموهوب الذي يفرض نفسه كوالد ثالث (بعد الأب والأم) في الأسرة بلا منازع، ويشعر الآباء بالحيرة الشديدة في أساليب تربية الطفل الموهوب الذي لا تنفع معه الأساليب العاديَّة أو التقليديَّة في التربيَّة، ويفرض عليهم من حيث لا يشعرون مُعاملة الند للند.

● خطر المقارنة بين الطفل الموهوب وغيره من الأطفال:

عادةً ما يكون للطفل الموهوب قدرات ومواهب تكون غير متواجدة لدي إخوته، ممَّا يطرح بعض الإشكالات في تعامُّل الأسرة مع أطفالها.وما يجب أن يُدركه الآباء بصفةٍ عامَّةٍ هو أن كُلّ طفل بحاجةٍ إلي مجالٍ يُعبِّر فيه عن ذاته بنجاحٍ،فهناك طفلٌ يتفوَّق في إحدى الرياضات، وآخر يتفوَّق في الرسم، وغيره في الموسيقي أو التمثيل..إلخ ممَّا يُعطيه شعوراً بالقيمة والرِّضا عن النفس؛ وبالتالي التوازن النفسي والعاطفي.

ولذلك نحن نري أنَّه لا داعي أن يُقارن الآباء بين أبنائهم خاصَّة إذا كان بين هؤلاء الأبناء ابن موهوب٠ والخطير في هذه المُقارنة أنَّها قد تولِّد شعوراً عدائيًّا بين الأبناء سيما إزاء الابن الموهوب الذي قد يتعرَّض لمواقف حرجة مع إخوته نتيجة مقارنتهم دائماً به٠

● تجاهل الآباء لمواهب الأبناء..مشكلة مؤسفة !!

إنَّ عدم مُقارنة الطفل الموهوب بباقي إخوته يجب ألاَّ يجعل الآباء يتجاهلون موهبة ابنهم بحجة أنَّهم لا يريدون أن يشعر ابنهم بأنَّه أفضل من إخوته ومن الآخرين فينتابه الغرور، وتحت تأثير هذا الاعتقاد قد يذهب بعض الآباء إلي درجة أنَّهم لا يهتمون كثيراً بما يُحققه ابنهم من نجاح، بل علي العكس من ذلك يبرزون المواقف التي يفشل فيها، وهذا الاتجاه يؤدي إلي الفشل الفعلي.

وفي بعض الأحيان قد يكون سبب تجاهُّل الآباء لموهبة الابن هو أن هذه الموهبة قد تُشعرهم بالقلق لكونهم يتساءلون: عمَّا إذا كانوا قادرين علي مساعدة ابنهم في بلورة موهبته وتنميتها؟ بحيث ينتابهم شعور مسبق بالذنب لعدم توافر الإمكانات الضرورية بالنسبة لديهم للسير بعيداً في إبراز موهبة الابن.

● **المعاملة المتميزة للطفل الموهوب:**

علي العكس من الموقف السَّابق، فإنَّ والدي الطفل الموهوب قد يُعاملان ابنهما الموهوب بكيفية مُتميزة عن مُعاملة إخوته، فيبالغان في العناية به، والاستجابة الفورية لجميع طلباته، الأمر الذي قد لا يُساعده علي النموّ السليم، واكتساب خبرات جديدة تُشعره بالاستقلال والثقة بالنفس، بل قد يكون من شأن هذه المُبالغة في العناية والاهتمام أن يُعاني الطفل من «ضيق غامض» علي حدٍّ تعبير «أندريه برج » André Burg لإحباط رغبته في الاستقلال وتكوين خبرات جديدة يواجه بها الواقع.

ويُشير «برج» إلي أنَّ الطفل في هذه الحالة لا يُدرك بالتحديد مصدر الضيق الذي يُعاني منه، فيزيد من مطالبه، وتقوم الأسرة بالاستجابة إلي هذه المطالب ممَّا يُعيق شعوره بالإحباط وعدم الارتياح، وقد ينتج عن ذلك رد فعل عدائي لا شعوري من جانب الطفل إزاء والديه الأمر الذي يُشعره بالذنب، واهتزاز صورته عن ذاته نتيجة موقفه المتناقض نحو والديه.فهذا الموقف الذي قد يتخذه بعض الآباء من ابنهم الموهوب يؤكِّد أنَّ سلوك العنف لدي الطفل قد يظهر حتى في الأوساط ميسورة الحال، ويكون موجهاً ضد الآباء، رغم أنَّهم يستجيبون لجميع مطالب أطفالهم، بل لكونهم يستجيبون لجميع هذه المطالب، ومظاهر

العنف التي يُبديها الطفل في مثل هذه الحالة تُحدث ارتباكاً في سلوك والديه لعجزهما عن إدراك سبب ميل الطفل إلي العنف في الوقت الذي يستجيبان فيه لجميع مطالبه.

- **اضطرابات الأسرة وتخبطها في تربية الطفل الموهوب:**

من المشكلات أيضاً التي تواجه الطفل الموهوب تبرُّم الآباء والإخوة وتهوينهم بشأن القدرات غير العادية للطفل الموهوب، وظهور الفتور وعدم الاكتراث للموهبة، وعدم وجود ما يُحفزها في البيت، كذلك المبالغة في المستويات التي يضعها البيت والمدرسة لنمو قدرات الطفل الموهوب.

ويبدو أن وجود طفلٌ موهوبٌ في الأسرة يؤدي إلي اضطرار الأسرة إلي إجراء تعديلات خاصَّة في حياتهم، والتضحية بالكثير من الوقت أو الجهد أو المال في سبيل تلبية احتياجات الطفل الموهوب، وتبدو الأسرة وكأنَّها تدور في فلك الطفل الموهوب،خوفاً علي موهبته من الضياع، هذا إذا كان يعيش الطفل في كنف أسرة واعية مُتعلِّمة، أمَّا إذا كان الطفل يعيش في كنف أسرة بسيطة جاهلة، أو أسرة تعيش في ظروف صعبة غير عابئة بموهبته، كان مصير الموهبة الضياع، ويُساء فهمه، فيتحوَّل إلي عِداد الكسالى أو المُشاغبين أو حتى المتخلفين !!

● **الطفل الموهوب.. والصّراع بين الوالدين:**

إنَّ وجود طفل موهوب في الأسرة يخلق نوعاً من الصِّراع بين الوالدين، وذلك عندما يلجأ كُلّ منهما إلي أسلوبٍ مختلف في المُعاملة، كأن يُشجع أحدهما الإنجاز في إتمام الأعمال والحصول علي أعلي الدرجات، ويشجع الآخر الجد والاجتهاد بغض النظر عن ما يحصل عليه من درجات، ممَّا يجعل الطفل يستخدم أسلوب المراوغة بذكاءٍ ودهاءٍ، وبالتالي يجعل اهتمامهما به أكثر والتنافس بينهما أشد من أجل تلبية كُلّ رغباته.

● **إتباع أسلوب «الحماية الزائدة» مع الطفل الموهوب:**

قد يخسر الطفل الموهوب معركته علي صعيد العلاقات الاجتماعيَّة مع أقرانه؛ فهو يميل إلي عقد صداقات مع أشخاص أكبر منه سِناً، وقد يعزف عنه، أو ينفر منه الأطفال العاديون لاختلافهم عنه، أو لإحساسهم بالغيرة منه، ممَّا يؤثِّر علي تقديره لذاته.

وفي بعض المقابلات مع الأطفال الموهوبين أفادوا بأنَّهم يتظاهرون بالغباء حتى يفوزوا بحبِّ الأصدقاء !! وهذا ــ بطبيعة الحال ــ يُشكِّل هماً كبيراً علي الأسرة؛ فيشعرون بالخوف والقلق الشديدين علي الطفل حتى لا يُخدش شعوره،

ويُجرح كبرياؤه، فيلجأ الأبوان إلي أسلوب « الحماية الزائدة » ممَّا يعزل الأسرة والطفل عن الآخرين.

● مشكلة الإحساس بالتنافر المعرفي تجاه الطفل الموهوب:

قد تواجه أسرة الطفل الموهوب مشكلة الإحساس بالتنافر المعرفي بسبب التباينُّ بين صورة طفلهما الموهوب النمطية التي تجعل الطفل وكأنَّه خارق الصفات، متفوق في كُلِّ المجالات، وبين صورته الواقعية رغم اختلافه عن الأطفال العاديين في مجال موهبته، فهو عادي في العديد من الأمور، وهو طفلٌ بالدرجة الأولي، له احتياجاته شأنه شأن سائر الأطفال ممَّن مثل عُمْره، وهذا التباينُّ بين الصورتين يخلق نوعاً من التشويش والقلق لدي الآباء، ويجعلهم يواجهون صعوبات في أساليب التعامُّل مع طفلهم الموهوب.

● الطفل الموهوب.. ومشكلاته مع إخوته:

من الأمور التي تُقلِق الطفل الموهوب علاقته بإخوته، إذ تُشير الدراسات في هذا المجال إلي أنَّ الإخوة غير الموهوبين يُعانون من مشكلات سوء التوافق النفسي، والقلق، وتدني مستوي تقدير الذات، بسبب وجود طفل آخر موهوب في الأسرة، فعلي سبيل المثال الإخوة الأصغر سِناً منه يشعرون بأنَّه من المستحيل أن يصلوا إلي موهبة أخيهم أو أختهم الأكبر سِناً.

أمَّـا الإخـوة الأكبـر سِـناً فإنَّهـم يشـعرون بالضغـط النفسـي الشـديد والنفـور مـن أخيهـم الموهـوب لأنَّهـم لا يتقبلـون فكـرة تفـوق الأخ أو الأخـت الأصغـر سِـنا٠ وإذا كان هنـاك طفـلان في الأسـرة، وكان الأكبـر موهوبـاً شـعر الأصغـر بالقلـق لأنَّـه يُحس بعـدم القـدرة علـي الوصـول إلـي مسـتوي أخيـه الأكبـر٠

● قلق الآباء ينعكس بالسَّلب علي الطفل الموهوب !!

اعتـزاز الوالديـن بتفـوق ابنهمـا قـد يكـون مبعثـه أنَّ الوالديـن يشـعران بأنَّهمـا يُحققـان ــ مـن خـلال تفـوق الابـن ــ مـا كانـا يطمحـان إلـي تحقيقـه، أو مـا فشـلا في تحقيقـه في الماضـي.

وحـرص الوالديـن الشـديد علـي تفـوق ابنهمـا يجعلهمـا يُبديـان قلقـاً شـديداً إزاء أي تعثُّـر قـد ينتـاب الابـن في دراسـته، الأمـر الـذي ينعكـس علـي الابـن ذاتـه فيُعانـي هـو أيضـاً قلقـاً أشـد، خاصَّـة عندمـا يشـعر وكأن والديـه لا يُحبانـه إلاَّ لنجاحـه، ويخشـي الطفـل في هـذه الحالـة أن يفقـد حُـبّ وعطـف والديـه، وقـد يكـون هـذا الخـوف سـبباً في تعثـره رغـم مـا يتوافـر لديـه مـن قـدرات عقليَّـة متميـزة، وفي تأخيـر نضجـه العاطفـي٠

وعلـي الوالديـن أن يُـدركا أنَّ النضـج العاطفـي للطفل لا يقل في أهميتـه عـن النضـج العقلـي لـه، وعليهمـا أن يوفـرا فرصـة النضـج

العاطفي في نفس الوقت الذي يوفرا له فرصة النضج العقلي، وإن كان النضج العقلي لديه يبدو متفوقاً علي النضج العاطفي.

وبالنظر للتفوق العقلي للطفل الموهوب إلاَّ إنَّنا يجب أن نتوقَّع أن يكون نموّه العاطفي متخلفاً عن نموّه العقلي؛ لذا.. علي الوالدين، في هذه الحالة ألاَّ يحثا الطفل علي أن يكون نموّه العاطفي مماثلاً لنموّه العقلي؛ لأنَّ من شأن ذلك ألاَّ يُساعد علي نموّه العاطفي.